موقف النصارى من عيسى عليه السلام ومنافحة القرآن عنه

بقلم الدكتور سيد الأمين السلطاني*

إن قضية حياة روح الله سيدنا المسيح عليه السلام قضية يخبط فيها اليهود كما يخبط فيها النصارى بالظنون والأوهام ، وحتى المسلمون .

يزعم معاشر المثلثة أن الإنسان جاء إلى الوجود ملطخا بالخطيئة ، وأن هذه اللطخة – التي لم يكن مسؤولا عنها – كانت بحاجة إلى من يكفر عنها .

ويقولون أن من صفات الله تعالى العدل والرحمة كان على الله بمقتضى هاتين الصفتين أن يعاقب بنى آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبويهم في الجنة ، والذي بسببه استحق هو وأبناؤه الدحر والإقصاء عن رحمة الرحمن.

☆ قال الامام الشافعی رحمه الله تعالی : امن الناس علیّ فی الفقه محمد بن حسن ☆

يدعون أنه لم يكن هناك بد للجمع بين هاتين الصفتين – العدل والرحمة – إلا عن طريق تقديم ابنه الوحيد أي عيسى بحيث يظهره على شكل بشر ، ثم يصلبه ظلما وتكفيرا عن أخطاء البشرية جمعاء .

ويزعمون أن الله قدر على يسوع [1] ليخلص البشرية من الذنب الذي اقترفه أبويهم آدم وحواء حتى يتسنى للنصارى أن يعيشوا في الآخرة عيشة هنيئة محفوفة بالترف والنعم .

ولقد كان يسوع في نظرهم في أهبة الاستعداد وغايته لهذه التضحية المقدسة – في نظرهم والبشعة في نظر المسلمين – قبل بدء الخليقة ، ويقولون إن الله تعالى إتحد في يسوع ، فقدر لنفسه أن يشنق نفسه ليخلص الجنس البشري من خطيئتهم الأولى ، وليكفوا رقابهم منها ، وكذا من الخطايا التي سيقترفونها وسيجترحونها بعد نزولهم إلى الأرض .

وقد ورد في إنجيل يوحنا ٣ : ١٦ "

– اسم سرياني للمسيح عليه السلام يأتي بمعنى المسح . والله أعلم .

" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " [1] .

من الذي أجبر تعالى أن يفرض على نفسه العدل والرحمة ، ثم البحث عن سبيل وطريق للجمع بين هاتين الصفتين ؟ !!! .

أيها النصارى تدعون أن صلب المسيح لم يكن إلا لتحقيق العدل والرحمة، فأية رحمة في تعذيب غير مذنب ، وأي عدل في مؤاخذة برئ وصلبه ؟ ، حتى لو قلتم إن عيسى هو الذي قبل ذلك . نقول إن المنتحر أو المعذب نفسه من دون إكراه يعد قاتلا لنفسه في أنظار جميع الأديان السماوية.

وإذا كان السيد المسيح ابن الله . هل يعقل أحد أن الأب يرضى على تعذيب ابنه من دون أن يرتكب أي خطأ ؟ وأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان ابنه المحبوب يضطهد ويلاقى صنوف العذاب والسخرية على أيدي اليهود ؟ .

نقول لمعاشر المثلثة أنكم تدعون أن ذرية آدم أدحرهم الله تعالى من الجنة بسبب ذنوب أبويهم . ففي أي شرع يعاقب الأحفاد بأخطاء الأجداد والعكس ؟ . حتى إن كتابكم المقدس الذي تتبجحون بصحته ينص على أن لا يقتل أحد بخطأ أحد ، بل كل إنسان يؤاخذ على أخطائه .

حيث ورد في سفر التثنية ٢٤ : ١٦ **" لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، فكل إنسان بخطيئته يقتل "** [2] .

- بين الإسلام والمسيحية لأبى عبد الله الخزرجي ٥٩ .
- نقلا عن كتاب" المناظرة بين الإسلام والنصرانية " ١٢١.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي رادا على زعم المسيحيين : " أن عيسى صلب تكفيرا لأخطاء البشرية " إن كون الموت الصليبي كفارة الذنب غير معقول يقينا ، لأن المراد بهذا الذنب على زعمهم الذنب الأصلي الذي صدر عن آدم عليه السلام لا الذنب الذي يصدر عن أولاده ، ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الأصلي ، لأن الأبناء لا يؤاخذون بذنوب الآباء ولا بالعكس ، بل هو خلاف العدل ..... " [1] .

ففي الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال عليه السلام " **النفس التي تخطئ فهي تموت ، والابن لا يحمل إثم الأب ، والأب لا يحمل إثم الابن ، وعدل العادل يكون عليه ، ونفاق المنافق يكون عليه** " [2] .

هب أن أحدا من البشر ذهب إلى المحكمة متلبسا بجريمة قتل ..... ، يده ملطخة بالدم .... ، وثبتت إدانته من كل وجه .... ، واعترف بأنه القاتل .

أفيحق له أو لمحاميه ، أن يذود عنه قائلا : أنا القاتل ، وأنا الذي ذبحته ، وأنا ...الخ ، ولكن يتحمل عنى مسؤولية هذه الجريمة فلانا فحاكموه هو وحاسبوه و .. و ..؟. هل يعقل هذا في عرف البشر ؟ . كلا .

فإذا كان البشر لا يرضون لقضاتهم ولا لقضائهم – مع أن قضاء البشر يحيط به القصور والفتور من كل وجه – أفيجوز ذلك في عدالته سبحانه ؟ .

إن بنى البشر يرفضون ويأبون – بكل أبعاد الكلمتين – أن يكون في قضائهم وساطات وامتيازات . ثم نقبل بالنسبة لله أن يكون في قضائه وساطة، وامتياز في الدم أو الجنس أو اللون.

---

[1] – إظهار الحق لرحمت الله الهندي ٣٤٨ و ٣٤٩ .

[2] – المرجع السابق .

لو افترضنا أن الله جل وعلا أنزل المسيح ليصلب تكفيرا عن أخطاء البشرية جمعاء ، فلماذا لم تتم هذه العملية بيسر وسهولة من دون أن تحدث ضجة أو شيء من هذا القبيل ؟ ، ولماذا لم يقبلها المسيح بسعة صدر ورحب من دون يتعرض للمحاكمة ؟ ولماذا بكى المسيح واستعان عند صلبه ؟ ولم ....؟ ولم ..... ؟ .

إذا تتبعنا كيفية صلب المسيح - على حد زعمهم - نجد أنه صلى طلبا للنجدة مع الخنوع بالدموع ، حيث ورد في لوقا ٢٢ : ٤٤ " **وإذا كان في جهاد كان يصلى بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض** " . ماذا يمكن أن نتوقعه بالنسبة لهذه الصلاة النابعة من صميم قلب ابن وحيد لأب رحيم ؟ [1] .

إن مثل هذه الصلاة النابعة من عميق القلب وقعره ، ومثل هذه الصيحات المخضبة بالدماء ، ومثل هذه اللوعة ، ومثل ذلك الأسى تكاد تنادى الله فوق عرشه أن تحل عنايته .

إن الله سمع دعائه فاستجاب كما سمع واستجاب لدعوات سيدنا إبراهيم عليه السلام وغيره من الرسل والأنبياء عليهم السلام .

لقد ورد في إنجيل لوقا " **ظهر له ملاك من السماء يقويه** " [2] أي تناقض أوضح من هذا ؟ يدعو يسوع ربه أن ينقذه ، وتؤكد نصوص الإنجيل أن الله استجاب دعائه ، ثم يصرون على أنه قد مات على الصليب ، وهو مناقض لاستجابة الله تعالى دعاء عيسى عليه السلام ، ولو افترضنا هي خطة الله في التكفير من خطايا البشر وزلاتهم . فإن الله حاشا لله قد تنكب عن الصواب . إن الممثل

---

[1] - صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء للديدات ١٥ بتغيير طفيف .

[2] - صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء للديدات ٧٤ .

الشخصي لله قد كان حريصا أشد الحرص على أن لا يموت حيث بكى ، واستجار من الله .

اختلاف الناس في كنه المسيح :

لقد اختلف الناس سلفا وخلفا في موضوع قتل المسيح وصلبه إلى فئات عديدة حتى وقع النزاع بين فرق اليهود والنصارى أوردها بإيجاز :-

قالت اليعقوبية : كان فينا " الله " أي عيسى ما شاء الله ثم صعد إلى السماء .

قالت النسطورية : كان فينا " ابن الله " ما شاء الله ثم رفعه الله إليه .

وقالت الأمة الإسلامية : " كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه " [1].

اختلاف النصارى واليهود فيما وقع الصلب والقتل

ثم اختلفوا فيما بينهم – أهـل الكتاب – فيما وقع الصلب والقتل ، ها أسرد تفرقهم :-

◊ قالت الملكانية : وقع الصلب والقتل على المسيح بكمال ناسوته ولاهوته .

◊ قالت النسطورية : صلب عيسى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته.

---

[1] – تفسير ابن كثير ٥٨٨/١ .

◊ قالت اليهود : قتلوه لأن الخائن الذي قام بالدور البارز في قتله – على حد زعمهم – كان يهوديا [1] .

اختلاف المسلمين فيما بينهم في ما تم الرفع ؟ .

اختلف المسلمون فيما بينهم هل تم الرفع بالروح أم بالجسم أم بهما معـــا؟.

طائفة تقول بأن الرفع تم بالروح فقط ، وطائفة تقول بأن الرفع تم بالجسم والروح معا .

إذا أمعنا النظر في الأدلة التي تتحدث عن حياة المسيح نجد أن القول الثاني أقرب إلى الصواب ، هاهي أدلة الفريقين :-

أدلة الفريق الأول القائلين بأن الرفع تم بالروح فقط .

قال تعالى ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ... ﴾ الآية [2] .

وقال جل وعلا ﴿ بل رفعه الله إليه ... ﴾ الآية [3] .

يقولون إن عيسى بعد ما أنقذه الله تعالى من اليهود عاش فترة من الزمان حتى استوفى الله أجله ، ثم أماته الله ميتة عادية طبيعية . وبالتالي رفعت روحه إلى السماء كما ترفع أرواح النبيين والصديقين والشهداء ، وقد ورد النص برفع

---

[1] – تفسير القرطبي ٨/٦ .
[2] – سورة آل عمران آية ٥٥ .
[3] – سورة النسآء آية ١٥٨ .

عيسى مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال بصفة كونه نبيا تكريما لمكانته . فذكر الله نجاته ثم مكانته التي استلزمت رفع روحه .

ويدعون أن قوله عز وجل ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ إنها تحقيق الوعد الذي تضمنه قوله تعالى ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ... ﴾ .

يقولون إن قوله سبحانه ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ لم يذكر فيها الوفاة والتطهير . بل اقتصر على ذكر الرفع .فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر في قوله ﴿ إني متوفيك ﴾ جمعا بين الآيتين ، ويرون أن الرفع معناه رفع المكانة والجاه ، واستدلوا بما ورد من ذكر الرفع في القرآن بهذا المعنى :

قال جل وعلا ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ... ﴾الآية [1] ،وقال عز وجل ﴿ نرفع درجات من نشآء ... ﴾ الآية [2] .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ورفعناه مكانا عليا ﴾ [3] .

وقال جل شـــأنه ﴿ ... يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .. ﴾ الآية [4] .

إذن فالتعبير بقوله ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ ، وبقوله ﴿ ورافعك إلي ... ﴾ كالتعبير في قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفى قوله ﴿ إن الله معنا ﴾ ، وفى قوله ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ كلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفاظة ، والدخول في الكنف المقدس .

---

[1] – سورة النور آية ٣٦ .
[2] – سورة يوسف آية ٧٦ .
[3] – سورة مريم آية ٥٧ .
[4] – سورة المجادلة آية ١١ .

وقد أيد هذا الرأي جماعة من العلماء سلفا وخلفا وها هي الآراء :-

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ إني متوفيك ﴾ أي مميتك وهو مروى عن ابن عباس ، ومحمد بن إسحاق قالوا : المقصود أن لا يصل بأعدائه من اليهود إلى قتله، ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء، وقوله ﴿ورافعك إلي﴾ أي رافع مرتبتك ، ورافع روحك إلي ،﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ أي مخرجك من بينهم . ومفرقك بينك وبينهم .

اختلاف أهل التأويل في قوله ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾

لقد بين أهل التأويل في قوله ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ وجهان وهما:-

أ - الذين اتبعوا عيسى يكون فوق الذين كفروا وهم " اليهود " بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة .

ب - المراد بالفوقية الحجة والدليل .

وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير، وكل هذا يدل على المبالغة في إعلاء شأنه ، وتعظيم منزلته ، ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ﴾ المراد بالفوقية بالحجة والبرهان .

ثم يقول واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله ﴿ ورافعك إلي ﴾ هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة . كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة وبالرفعة [1] .

ويقول الإمام الألوسى صاحب تفسير " روح المعاني " إن قوله تعالى ﴿ إني متوفيك ﴾ معناها " على الأوفق إني مستوف أجلك ومميتك موتا طبيعيا حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك " [2] .

والرفع الذي كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا ، وقد جاء بجانبه قوله تعالى ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ يحتمل أن يكون تطهيره عليه السلام بتبعيده منهم بالرفع ، ويحتمل أن يكون بنجاته مما قصدوا فعله به من القتل بما يدل على أن الأمر تشريف وتكريم [3] .

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن أن المراد ﴿من﴾ الموصول الوارد في قوله ﴿ الذين كفروا ﴾ اليهود و النصارى والمجوس وكفار قومه ، ﴿ وجاعل الذين اتبعوك ﴾ قال قتادة والحسن وابن جريج وخلق كثير هم أهل الإسلام اتبعوه على ملته ، وفطرته من أمة محمد ﷺ ﴿ فوق الذين كفروا ﴾ وهم اليهود أو سائر من شمله هذا المفهوم . فإن المؤمنين يعلونهم بالحجة والسيف في غالب الأمر [4] .

---

[1] – التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ٦٩/٨ .
[2] – تفسير روح المعاني ١٧٩/٣ .
[3] – تفسير روح المعاني للألوسى ١٧٩/٣ .
[4] – المرجع السابق ١٨٣/٣ .

أدلة الفريق الثاني القائلين بأن الرفع تم بالجسم والروح :

اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة الوارد في قوله جل وعلا ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ..﴾ الآية ، قال الحسن وابن جريج معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، كقول القائل توفيت مالي من فلان أي قبضته [1] .

يقول الإمام ابن جرير الطبري في قوله ﴿ إني متوفيك ﴾ قال ويعنى وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن البصري قال : رسول الله ﷺ " لليهود إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة " [2].

وقال آخرون : " معنى ذلك إني قابضك من الأرض فرافعك إلي " [3] .

فهذا فيه دليل على أنه يعن بذلك الموت ، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين . فإن الله يقبض أرواحهم ، ويعرج بها إلى السماء . فعلم أنه ليس في ذلك خاصية وميزة ، ومعنى قوله ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ﴾ أي قابضك من الأرض حيا إلى جواري، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

واستدلوا بأقوال عديدة من بينها قول كعب الأحبار : " ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم ، إنما بعثه داعيا ومبشرا يدعوا إليه وحده ، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه ، وكثرة من كذبه . شكا ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله إليه إني متوفيك ورافعك ، وليس من رفعته عندي ميتا ، وإني سأبعثك على

---

[1] – تفسير الطبري ٣/٢٠٣ .
[2] – تفسير الطبري ٣/٢٠٢ .
[3] – تفسير الطبري ٣/٢٠٢ .

الأعور الدجال فتقتله ، ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة ، ثم أميتك ميتة الحي ، قال كعب الأحبار وذلك يصدق حديث رسول الله ﷺ المروي عن عبد الله بن عمر وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ لن تهلك أمة أنا في أولها ، وعيسى ابن مريم في آخرها ، والمهدي في وسطها ؟ " .[1]

القول الراجح :

إن مسألة نزول المسيح ابن مريم عليه السلام مما صدعت به النصوص القرآنية ، وتواترت فيه الأحاديث النبوية عن الرسول الأكرم ﷺ ، وأجمعت عليها الأمة مذ عهد النبي إلى يومنا هذا بحيث لا يمكن التأويل ، ولا يسع فيه القال والقيل .

إن الرسول ﷺ بين نزول عيسى قبيل قيام القيامة بأساليب شتى ، وبصيغ متنوعة تارة عبر عنه بلفظ الخروج ، وتارة أخرى بلفظ النزول كقوله ﷺ " والله لينزلن ابن مريم ... " [2]، وتارة بلفظ البعث كقوله ﷺ " إذ بعث الله المسيح ابن مريم " [3] ، وقوله ﷺ " ويبعث الله عيسى ابن مريم " [4] .

وها أسرد الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع :-

---

[1] - كنز العمال ٢٠٣/٧ .

[2] - صحيح مسلم شرح النووي كتاب الإيمان باب " نزول عيسى ابن مريم عليه السلام " ٢/ ١٩٢ .

[3] - صحيح مسلم شرح النووي باب " ذكر الدجال " ٦٧/١٨ .

[4] - نفس المصدر السابق ٧٦ .